مواقف الدول الأفريقية تجاه محنة الزلزال في تركيا: الوفاء بالعهد

كآن دفجي أوغلو

هذا "الوفاء بالعهد" من الدول الأفريقية تجاه تركيا خلال محنة الزلزال، بالرغم من محدودية إمكانات تلك الدول، يعد نتيجة واضحة لإجراءات المساعدات الإنسانية التي قامت بها المنظمات الانسانية في تركيا، الحكومية والمدنية، على مدار الثلاثين عاما الأخيرة، وممارسات السياسة الخارجية التركية، التي تم إضفاء مفهوم "الدبلوماسية الإنسانية" عليها في السنوات الخمس عشرة الأخيرة.

تعد تركيا في مقدمة الدول التي تقدم المساعدات عبر الجهات الحكومية والمدنية في جميع الكوارث تقريبا التي وقعت في مختلف أنحاء العالم. وفي أعقاب الزلزالين الذين ضربا تركيا بقوة 7.7 درجة و7.6 درجة على مقياس ريختر، وكان مركزهما محافظة قهرمان مرعش وأثرا على 10 محافظات، حشدت الدول من مختلف أنحاء العالم بما في ذلك الدول الإفريقية، جهودها من أجل تضميد الجراح التي أصابت تركيا. هذا "الوفاء بالعهد" من الدول الأفريقية تجاه تركيا خلال محنة الزلزال، بالرغم من محدودية إمكانات تلك الدول، يعد نتيجة واضحة لإجراءات المساعدات الإنسانية التي قامت بها المنظمات الانسانية في تركيا، الحكومية والمدنية، على مدار الثلاثين عاما الأخيرة، وممارسات السياسة الخارجية التركية، التي تم إضفاء مفهوم "الدبلوماسية الإنسانية" عليها في السنوات الخمس عشرة الأخيرة. وفي هذا السياق، تم وصف تركيا من خلال أنشطة الدبلوماسية الإنسانية التي قامت بها في مختلف أنحاء العالم في السنوات الأخيرة، بأنها "فاعل إنساني" يجب تقليده. ومما لا شك فيه أن معظم الأمثلة

الرائعة لممارسات الدبلوماسية الإنسانية لتركيا في السياسة العالمية في سياق هذا الوصف، هي الأنشطة التي تقوم بها الجهات الفاعلة الحكومية والمدنية التركية في البلدان الإفريقية. لذلك قدمت الدول الإفريقية الدعم أيضاً في حدود إمكانياتها في الفترة الصعبة التي تمر بها تركيا اليوم.

نهج الدبلوماسية الإنسانية الذي تتبعه تركيا تجاه إفريقيا

لو تناولنا هذا الأمر في سياق نهج الدبلوماسية الإنسانية، سنرى أنه عندما انهار الاتحاد السوفييتي، وتحوّل النظام الدولي إلى هيكل أحادي القطب، انتقلت تركيا في سنوات التسعينات إلى مرحلة سياسية جديدة بشأن تعاملها مع مناطق النفوذ التركية القديمة، من منظور واسع يمتد من إفريقيا إلى آسيا الوسطى، ومن البلقان إلى الشرق الأوسط. وتحوّلت هذه الفكرة إلى واقع ملموس من خلال استراتيجيات الانفتاح على إفريقيا وأمريكا اللاتينية التي تم طرحها في عام 1998، ثم تم وضع هذه الفكرة في إطار طابع مؤسساتي، عبر الاتفاقيات الموقعة خلال الزيارات المتبادلة رفيعة المستوى. ومع بروز السياسات المذكورة أعلاه في السياسة الخارجية التركية، أصبحت تركيا أكثر ظهورا في النظام الدولي من خلال وساطتها في النزاعات، والمساعدات الإنسانية

والإنمائية التي تقدمها. وفي هذا الإطار، فإن صناع السياسة الخارجية التركية مع دخول نظام العلاقات الدولية خلال السنوات الأخيرة في مرحلة تغيرات وتحولات مختلفة، أصبحوا ينفذون استراتيجية سياسة خارجية "مبادرة وإنسانية" قائمة على القيم الوطنية التركية في ظل الظروف الراهنة وتعتمد المبدأ الرئيسي "السلام في الوطن، السلام في العالم".

إن مفهوم الدبلوماسية الإنسانية لدى تركيا، هو نهج سياسة خارجية تركز على الإنسان وتعبّر عن التوازن بين الضمير والقوة وتستوعب داخلها القيم والمصالح الأساسية للدولة. وانطلاقا من هذا الفهم، تهدف تركيا إلى الجمع بين هذا المنظور الشامل الذي يغطي جميع الأنشطة الإنسانية، وتوازن المثالية والواقعية بالمعنى النظري، على أرضية مشتركة.

وبالإضافة إلى تقديم تركيا نهجا مثاليا؛ فهي تسعى جاهدة لنقل مصالحها الوطنية إلى المستوى القياسي من خلال فعاليات الدبلوماسية الإنسانية. وفي هذا السياق، يعتبر منظور الدبلوماسية الإنسانية لتركيا ضمن نطاق ما يسمى بجغرافيا القلوب (المناطق المقربة من تركيا)، انعكاسا لهوية "الفاعل الإنساني" المتنامية في إفريقيا. في الحقيقة، يتمتع موقع تركيا كفاعل إنساني في القارة الإفريقية بنوعية فريدة يتجاوز المنظور الأمني والتجاري للجهات الفاعلة الأخرى.

تعتمد تركيا نهج دبلوماسية إنسانية تجاه إفريقيا تختلف فيه القدرات المالية للدولة وفقا لمستوى علاقاتها مع البلد المراد مساعدته. وفي هذا السياق، قدمت تركيا مساعدات إنسانية وتنموية نقدية وعينية من أجل مكافحة مشاكل مثل المجاعة والجفاف والفقر والأمراض الوبائية في إفريقيا. على سبيل المثال، أنشأت تركيا مستشفى في مدينة نيالا في السودان من أجل حل الأزمة الإنسانية التي حدثت بعد الحرب الأهلية في ولاية دارفور السودانية. كما تبرعت بمساعدات طبية قدرها 8 أطنان ونصف الطن من الأدوية منذ عام 1999 إلى دولة جزر القمر, التي تعاني من المجاعة والفقر. بالإضافة إلى ذلك, شاركت تركيا في العديد من برامج المساعدات الإنسانية التي تم تنظيمها بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة. وكان نحو 50% من المساعدة الإنمائية الرسمية لتركيا خلال الأعوام 2013 و2014 و2015 في مجال المساعدات الإنسانية, وتم وصف تركيا بأنها "دولة مانحة صاعدة". وفي هذا السياق, لو أخذنا بعين الاعتبار مقدار المساعدات الإنسانية التركية مقارنة بالدخل القومي, فإن تركيا تحتل المرتبة الأولى عالميا, أمّا في إجمالي حجم المساعدات المقدمة فهي تأتي في المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة وبريطانيا. ووفق نفس المؤشرات, احتلت تركيا المرتبة الأولى بين البلدان التي قدمت أكبر مساعدات في عامي 2016 و2017, فيما احتلت المرتبة الأولى في عام 2018. وفي هذا الصدد, قدمت تركيا 783 مليون دولار مساعدات إلى إفريقيا عام 2013, بينما انخفض هذا الرقم إلى 150 مليون دولار في عام 2017. ولذلك، بالإضافة إلى المبادرات العامة مثل وكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا)، والهلال الأحمر التركي، والفريق الوطني التركي للإنقاذ الطبي (أومكا)، ووقف الديانة التركي، فإن تركيا

تواصل تنفيذ مشاريع المساعدات الإنسانية في إفريقيا مع العديد من منظمات المجتمع المدني.

الدول الإفريقية والوفاء بالعهد إلى تركيا

اهتم الأتراك على مر التاريخ ببناء جسور صداقة في مناطق مختلفة من آسيا وأوروبا وإفريقيا. حيث أن عدم نسيان اليد الممتدة للعون والمساعدة في الأوقات الصعبة تعتبر إحدى السمات الأساسية للإنسان التركي منذ القدم. ولا تعد ظاهرة تقديم المساعدة واجبا دينياً في الإسلام فحسب، بل هي أيضا انعكاس للسلوك الإنساني العالي الذي يجب أن يكون. على سبيل المثال، كافحت الدولة العثمانية ضد احتلال المستعمرين للقارة الإفريقية لنحو 500 عام، وسارعت الشعوب العريقة في دول إفريقيا للمساعدة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، في الحرب العثمانية الروسية وحرب طرابلس وحرب الدردنيل. وفي هذا الإطار، فإن العديد من الأبطال الأفارقة الذين انضموا من المنطقة إلى صفوف الجيش العثماني وحاربوا معه سطروا ملاحم تاريخية يشهد لها التاريخ، وها هي الدول العريقة في هذه القارة تظهر وفاءها بالعهد إلى تركيا اليوم، من خلال دعمها المادي والمعنوي، من أجل تضميد الجراح التي تسبب فيها زلزال قهرمان مرعش.

جدير بالذكر أن عشرات آلاف الأشخاص لقوا حتفهم تحت أنقاض آلاف المباني التي دمرها الزلزالان الكبيران اللذن وقعا في 6 فبراير/ شباط 2023 في محافظة قهرمان مرعش التركية, كما أصيب مئات الآلاف جراء الزلزالين. وعلى إثر ذلك, حشدت أكثر من مئة دولة من مختلف أنحاء العالم جهودها من أجل مساعدة تركيا, وأطلقت السلطات الرسمية ومنظمات المجتمع المدني في البلدان الإفريقية حملات مساعدة من أجل تركيا. وفي هذا الصدد, كانت ليبيا والسودان والجزائر والسنغال ومصر وجنوب إفريقيا وموريتانيا والمغرب وبوروندي وزيمبابوي, من أوائل الدول الإفريقية التي قدمت المساعدات إلى تركيا. وقد وفرت هذه الدول مساعدات مادية وخبراء وفرق بحث وإنقاذ محترفة كل في حدود إمكانياته. على سبيل المثال؛ أرسلت الجزائر89 شخصا وجنوب إفريقيا 69 شخصا وليبيا 55 شخصا وتونس 41 شخصا والسودان 40 شخصا والسنغال 30 شخصا, بينهم أطباء وموظفو صحة وفرق بحث وإنقاذ. بالإضافة إلى ذلك, فإن عشرات الدول الإفريقية التي تعاني من الحروب الأهلية والإرهاب والفقر قدمت أيضا الدعم إلى تركيا, بعضها ماديا وبعضها معنويا, في حدود إمكانياتها. كما أن قسما من بين 60 ألف طالب وطالبة ممن جاءوا من العديد من البلدان الإفريقية للتعليم على مستويات مختلفة في تركيا، بادروا وشاركوا في أنشطة المساعدة.

وفي النتيجة، فإن الزلزال الذي ضرب تركيا وكان مركزه قهرمان مرعش في 6 فبراير/ شباط 2023 ويعتبر أحد أكبر الكوارث المدمرة في التاريخ, ساهم في إحراز تقدم كبير في العلاقات الثنائية من خلال "الوفاء بالعهد" الذي أظهرته المجتمعات الإفريقية تجاه الجمهورية التركية كما فعلت في مرحلة تاريخية سابقة. ولذلك, يمكن القول إن يد "المساعدة الإنسانية" التي مدّها المجتمع التركي إلى الدول الإفريقية في الثلاثين عاما الأخيرة وسياسة "الدبلوماسية الإنسانية" التي تم إضفاء الطابع المؤسساتي عليها في فترة ما بعد 2005، قد ساهمت بشكل كبير في بناء جسور الصداقة. ■

* تم نشر هذه المقالة باللغة التركية في العدد 123 من مجلة تحليلات الشرق الأوسط التي تصدر عن مركز أورسام.

كان دفجي أوغلو: باحث من تركيا, حاصل على الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة يلدريم بيازيد في أنقرة, يدرس الدكتوراه في العلاقات الدولية في جامعة اسطنبول الحضارية, يعمل حالياً خبير في قسم الدراسات الأفريقية في مركز أورسام.